

من أسرار الصلاة

المكان: طهران

المناسبة: ملتقى الصلاة السابع عشر

الحضور: المشاركين بملتقى الصلاة السابع عشر

الزمان: 2008/11/19هـ 1387/8/29م.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً، أشكر من أعماق قلبي الإخوة والأخوات الأعزاء المتضدين لمسألة إشاعة الصلاة. هذا شيء حسن وقيم في كل مكان، لاسيما في الجامعات. وأسأل الله تعالى أن يوفقكم ويوفق حضرة الشيخ قرائتي وسائر العاملين في هذا المشروع الكبير الذين أبدوا همةً - هو الذي غرس هذه الشجرة الطيبة في الأرض وقد نمت وأفرعت وأورقت وأنثرت اليوم والحمد لله - ويطيل عمره كي يستطيع متابعة المشروع إن شاء الله.

أهمية العمل في إقامة الصلاة وإساعتها نابع من أهمية الصلاة ذاتها. حينما نرى كل هذا الترغيب والتشجيع والاهتمام بالصلاحة في الشرع الإسلامي المقدس - سواء في القرآن، أو في كلمات النبي المكرم، أو في أحاديث المعصومين - نكتشف أن الصلاة العنصر الرئيس أو أحد العناصر الرئيسية بين مجموعة الأدوية المعالجة لأمراض الإنسان الجسمية، والروحية، والفردية، والاجتماعية. تشكل جميع الواجبات الشرعية واجتناب المحرمات مجموعة من الأدوية الموصوفة من قبل الله لنقوية البنية الروحية للإنسان وإصلاح أمور دنياه وآخرته - إصلاح المجتمع وإصلاح الفرد - ولكن ثمة في هذه المجموعة

عناصر مفتاحية ربما أمكن القول إن الصلاة أبرزها وأكثرها مفتاحية. {الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ} ⁽¹⁾.

هكذا هم المؤمنون، والمجاهدون في سبيل الله، والمضحون من أجل تعزيز المعارف الإلهية {إِنْ مَكَّنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ} إذا جعلناهم متمنين قادرين في الأرض وسلمناهم السلطة عليهم القيام بكثير من الأمور: تكريس العدالة، وإفشاء كثير من الظواهر، ولكن أول هذه الأمور: {أَقَامُوا الصَّلَاةَ}.. ما هو السر في الصلاة والذي يجعل إقامتها مهمة إلى هذا الحد؟

قيل الكثير حول الصلاة. لكل إنسان في داخله نفس متبردة.. فيل ثم إدا راقبتموه وطرقتم على رأسه بالمطرقة دوماً فسوف لن يوقعكم في الهلاك، وسوف تتم السيطرة على سلوكه وستكون هذه النفس الإنسانية سبباً لتقديمكم إلى الأئم. النفس هي مجموعة الغرائز الإنسانية التي إن تمت السيطرة عليها بصورة صحيحة واستخدمت في الطريق الصواب ستترفع بالإنسان إلى ذروة الكمال. المشكلة هي أن هذه الغرائز تصاب بالسكر والثماله. لا بد من وجود سيطرة. إذا كان ثمة ظلم في العالم فهو نتيجة سكر الغرائز والنزعات النفسية لدى شخص أو عدة أشخاص، أو جماعة من الناس. وإذا كان ثمة فحشاء في العالم فالسبب هو ذاك أيضاً.

وكان الحال إذا كان ثمة إهانة للإنسان وسحق لكرامته في العالم.

وكان الحال إنْ كان هناك فقر في الدنيا وكان جزء كبير من المجتمع البشري يعاني الحرمان من النعم الإلهية على الأرض. النزعات النفسية للجماعة الظالمة هي التي توجد الظلم، والجماعة المستكيرة هي التي توجد الاستضعفاف.

(1) سورة الحج، الآية: 41

والجماعة الشمولية الطامنة التي لا تعرف الرحمة هي التي تصنع الفقر والجوع. النزعات النفسية التي أوجدت كل هذه المفاسد في العالم منذ بداية التاريخ وإلى اليوم، وكلما تمادى الإنسان في استخدام القرارات المتعددة التي أودعها الله في داخله، كلما ازدادت هذه الأحوال السلبية ولم تتقص.

الظالم الذي يمتلك قنبلة ذرية يختلف عن الظالم الذي يقاتل بالسيف فقط. هذه النزعات النفسية أصبحت أكثر خطورة على البشر.

ثمة في البشر مثل هذا الشيء. كل البشر مبتلون بهذا الفيل الثمل في داخلهم ويجب عليهم احتواءه.

يتأتى هذا الاحتواء بذكر الله، وباللجوء إلى الله، وبالشعور بالحاجة إلى الله، والإحساس بالتقاهم أمام عظمة الله، والشعور بقبح الذات مقابل الجمال المطلق لله تعالى. كل هذه الأمور ناجمة عن الذكر.

الإنسان المنقي يعني الإنسان الذي يراقب ذاته ويتذكر ولا يكون مصدر شرور وظلم وفساد وطغيان وسوء على هذا وذاك من الناس.

الذكر الإلهي ينهاه ويصدّه دوماً: {الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ}، تنهى هنا ليست بمعنى أنها ت Kelvin يديه ورجلية وتعطل فيه غرائزه.

يُخال البعض أن معنى {الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ}⁽²⁾ هو أنك إذا صليت فسوف تزول الفحشاء والمنكر، لا، معناها أنك حين تصلي فإن واعظك الداخلي الذي أحيته الصلاة سيتحول صوتاً يذرك دوماً بسيئات الفحشاء والمنكر.

والذكر والتكرار يؤثران على القلب طبعاً و يجعلانه خاضعاً خائعاً.

(2) سورة العنكبوت، الآية: 45

لذلك ترون أن الصلاة يجب أن تتكرر، الصيام مرة واحدة في السنة، والحج
مرة واحدة في العمر، أما الصلاة فعدة مرات في اليوم الواحد.

هنا تكمن أهمية الصلاة.

إذا صلينا فسيعم الأمن داخل الإنسان وفي قلبه وكذلك في المجتمع وعلى حكام
المجتمع مهما كبر ذلك المجتمع. سيشعر قلب الإنسان بالأمن.. ويشعر جسمه
بالأمن.. ويشعر المجتمع الإنساني بالأمن. هذه هي ميزة الصلاة، وهذه هي
خصوصية إقامة الصلاة في المجتمع. لذلك يجري كل هذا التأكيد على مهمتكم
في لجان إقامة الصلاة ولجان إشاعة الصلاة في كل ناحية من نواحي البلاد،
ويبين كل شريحة من شرائح المجتمع وأهمها شريحة الشباب النخبة وطلبة
الجامعات. معنى ذلك الأخذ بيد المجتمع إلى حالة الذكر العامة، فيذكر الجميع
صغراءً وكباراً ونساءً، ورجالاً، ومسؤولين حكوميين، وسواهم، والشخص الذي
يعمل لنفسه، والشخص الذي يعمل لجماعة معينة، إذا ذكروا الله فستنتظم
أمورهم. معظم معاصينا تنتج عن الغفلة. لذلك تتكرر الصلاة دوماً.

قيل الكثير في هذا المجال، وتحدثنا نحن مرات عديدة. للصلاة جسم وروح.
ينبغي التقطن لهذه النقطة. أي إن كل واحد منا، أنا نفسي والآخرون يجب أن
ننقطن لهذه النقطة. للصلاة قالب ومضمون. لها جسم وروح. لنجذر من أن
يكون جسم الصلاة خالياً من روح الصلاة.

لا نقول إن جسم الصلاة الخالي من الروح لا تأثير له إطلاقاً، بلـ، له تأثير
بسيط على كل حال. بيد أن الصلاة التي شدد عليها الإسلام، والقرآن، والشرع،
والرسول، والأئمة (عليهم السلام) كل ذلك التشديد هي الصلاة التي اكتمل
جسمها وروحها على السواء. لهذا الجسم قراءته، وركوعه، وسجوده، وهبوطه
إلى الأرض، وقوتها، وارتفاع صوته وانخفاضه بما يتاسب وتلك الروح. هذا
التنوع من أجل تغطية جميع الحاجات التي ينبغي أن تُشبّع بواسطة الصلاة،

ولكل منها سرّه الخاص، ومجموعها يشكل قلب الصلاة وظاهرها، هذا الشكل مهم جدًا، لكن روح الصلاة هي التوجّه. لنعلم ما الذي نفعله. الصلاة من دون توجّه قليلة التأثير كما قلنا. بوسعكم الانقاض بطرقين اثنين من قطعة الماس ثمينة تزن عدّة قيراطات. طريقة منها هي أن تستخدموها كالماسة أي كحجر كريم ثمين.

والطريقة الأخرى أن تستخدموها كحجر ميزان فتضعيوها في كفة الميزان بدل عبار ذي عدّة غرامات وتضعون في الكفة الثانية مقابلها «فلفلاً» أو «كركماً» على سبيل المثال! هذا أيضًا استخدام للألماس، ولكن أي استخدام هو؟! إنه أشبه بتضييع الألماس. طبعاً هو استخدام مختلف عن تحطيم الألماس الذي يعد أسوء على كل حال من ذلك الاستخدام.

لكن الانقاض من الألماس ليس في أن يستعمله الإنسان كحجر ميزان ويزن به «الفلفل» و«الكركم».

ينبغي عدم التعامل مع الصلاة كالماسة نستخدمها حراً للميزان.. للصلاة قيمة كبيرة جدًا.

تارة يصلّي الإنسان كما يمارس سائر عاداته اليومية من قبيل تفريش الأسنان أو الرياضة.. وكذلك نصلّي. وتارة يصلّي وهو يشعر أنه يريد الحضور بين يدي الله.. هذه حالة مختلفة.

نحن في محضر الله دوماً، سواء كنا نياماً أو صاحبين، أو غافلين، أو ذاكرين. لكن تارة تبادرُون للتوضؤ والتطهُر والاستعداد بطهارة جسم وطهارة ملبس وطهارة معنوية ناتجة عن الوضوء والغسل لتدھبوا عند إله العالم. علينا في الصلاة أن نشعر بمثل هذا الشعور.

يجب الدخول إلى الصلاة بمشاعر الحضور أمام الله والتحدث معه. يجب أن نشعر أنفسنا أمام الله ونخاطبه. وإلا مجرد أن نبث في الجو أمواجاً بكلماتنا وحروفنا فهذا ليس الشيء الذي طولبنا به.

يمكن القول: {الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ * مَلِكُ يَوْمٍ الدِّينِ...} وبث أمواج هذه الكلمات. ويمكن قراءتها قراءة حسنة ولكن من دون توجه وسيكون الأمر هنا أيضاً بثاً للأمواج الصوتية في الهواء. هذا ليس الشيء الذي أريد منا. طلب منا أن نحمل قلوبنا في الصلاة إلى الباري، ونتحدث حديث القلوب، نتحدث بقلوبنا. هذا هو المهم.

علينا التتبه إلى قضية روح الصلاة في عملية إشاعة الصلاة، وفي الصلاة التي نؤديها، والصلاحة التي نعلمها للآخرين.

طبعاً هذه الروح لا تتحقق بدورها من دون جسم حتى يتصور الإنسان أنه لو كان الأمر كذلك إذن أستطيع أن أكتفي بذكر الله مائة مرة ولا أصلي، لا، فكما قلنا تم تصميم ذلك الجسم في ضوء الحاجات التي تشبعها هذه الروح.

لذلك لاحظوا وجود خصوصيات معينة لحالات الصلاة المختلفة.. غير واجبة.. مستحبة.. أين ينظر المرء عند الوقوف.. وأين ينظر عند السجود.. توصي بعض الروايات بإغلاق العينين عند الركوع، وتوصي بعضها بالنظر إلى الأمام.

كل هذه الخصائص تساعده على تحقيق حالة الحضور والتوجه اللازم للإنسان.

أما أهمية الصلاة فهو ما قد لا نقدر فعلاً عن وصفه.

يقول الإمام الصادق (عليه السلام) لوصيه في مرض رحيله: «ليس مني من استخف بالصلوة»⁽³⁾.

والاستخفاف هو عدم الاهتمام. هذه الصلاة بكل هذه السمات والفضائل كم تأخذ من وقت الإنسان؟ صلاتنا الواجبة — هذه الركعات السبع عشرة — إذا صلاتها الإنسان بدقة وروية قد تأخذ من وقته أربعاً وثلاثين دقيقة، وإنما فستأخذ من وقته أقل من هذا. يحدث أحياناً أن نجلس أمام التلفاز بانتظار البرنامج الذي يستهويانا ونشاهد قبله الدعاءات والدعایات لمدة عشرين دقيقة أو خمس عشرة دقيقة، ولا ينفعنا أي منها وتأخذ من وقتنا عشرين دقيقة، من أجل البرنامج الذي نريده.

هكذا تتقضى دقائق عمرنا. ننتظر التاكسي، وننتظر الباص، وننتظر صديقنا ليأتي ونذهب لمكان ما، ننتظر الأستاذ الذي تأخر في القدوم إلى الصف، ننتظر خطيب المنبر الذي وافى المجلس متأخراً، كل هذه تهدر من وقتنا عشر دقائق، وخمس عشرة دقيقة، وعشرين دقيقة. فكم سيكون من المهم إنفاق هذه العشرين دقيقة أو الخمسة وعشرين دقيقة أو الثلاثين دقيقة على الصلاة.. هذه الممارسة الراقية الكبيرة.

ينبغي الاهتمام بالصلاحة بين شباب البلاد أكثر من سائر الشرائح. الشاب يتورّ قلبه بالصلاحة، ويتحلى بالأمل، وتبهج نفسه وتغبط. هذه الأحوال تختص بالشباب غالباً. الشاب يستطيع إصابة اللذة. وإذا وفقنا الله أبا وأنت وصلينا صلاة بحضور قلب فسنرى أن الإنسان لا يشع من الصلاة المصحوبة بالتوجه لله. حينما يتوجه الإنسان للصلاحة سيصيب لذة لا توجد في أي من الملاذات المادية. هذا نتيجة التوجه. عدم الاهتمام للصلاحة، والخمول أثناء الصلاة من سمات المنافقين. لا أن كل من أصابه الخمول والكسل عند الصلاة فهو منافق، لا،

(3) علل الشرائع، ج 2، ص 356

يعرف الله المنافقين في القرآن ويقول: أعرفهم بهذا. كان في زمن النبي منافقون يصلون لأجل فلان وفلان ولا يؤمنون بالصلوة في قلوبهم {وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَأُونَ النَّاسَ} ⁽⁴⁾.

نعم حينما لا يكون الشخص طرف آخر يخاطبه ولا يتحدث مع الله فسوف يتبع ويميل وتبعد الصلاة بالنسبة له عملاً طويلاً. الحال ما هي الأربع دقائق؟! إذا خاطب الإنسان الله في هذه الحال فسترون أن الصلاة تخطف كما يخطف البرق، وسيتحسر الإنسان ويود لو طالت أكثر.

أشيعوا هذا المعنى بين الشباب. إذا تعود الشباب منذ الآن على الصلاة الحسنة فلن تكون الصلاة صعبة عليهم حين يبلغون أعمارنا. إذا لم يتعد الإنسان على الصلاة الحسنة وبلغ أمثال أعمارنا، فستكون هذه الصلاة الحسنة صعبة عليه لكنها ليست مستحيلة.

ذلك أنه تعود على الصلاة الحسنة منذ شبابه. وأعني بها الصلاة المصحوبة بالتوجة – ليس معنى الصلاة الحسنة تلك التي تقام بصوت حسن وقراءة جيدة، إنما تعني الصلاة بتوجه وحضور قلب؛ أن يكون قلب المصلي حاضراً بين يدي الله فيتحدث معه من قلبه وبقلبه – وعندئذ تصبح سجنته ولن يجد مشقة فيها، فيبقى يصلي صلاة حسنة حتى آخر عمره.

ثمة نقطة أشار لها الشيخ قرائتي الآن وكررها في الماضي، وذكرناها نحن تتعلق بقلة المساجد وأماكن الصلاة في الواقع المزدحمة. ينبغي أن يطرح أعضاء الحكومة الحاضرون هنا – الوزراء المحترمون الحاضرون هنا – هذه القضية في الحكومة بجد. جميع المشاريع الهندسية الكبيرة يجب أن تتضمن ملحقاً خاصاً بمسجد أو مصلى. حينما نخطط لقطارات الأنفاق، ومحطات قطارات الأنفاق، ينبغي أخذ المسجد بنظر الاعتبار فيها؛ وحين نخطط لمحطات

(4) سورة النساء، الآية: 142.

القطار، أو المطار، لابد من ملاحظة المسجد فيها. حينما نخطط للأحياء السكنية لابد من ملاحظة المسجد وقد يلزمنا فيها أكثر من مسجد. هل يمكن أن نصم حيًّا سكنيًّا وننسى تخطيط شوارعه؟ هل الحي السكني ممكِّن بدون شارع؟ ينبغي النظر للمسجد بهذه الطريقة.

لا معنى للحي السكني من دون مسجد. حينما يستطيع بناء المساكن المكتفة الحصول على تراخيص لبناء هذه المساكن وبينونها، لابد من وجود مصلٍ في الخارطة التي يقدمونها ويحصلون في ضوئها على الترخيص. هكذا يجب أن نتعامل مع المصلٍ.

أشاروا إلى الرحلات الجوية، لا رحلات الحج فقط، بل في شتى الرحلات الجوية الداخلية والخارجية البعيدة التي تعطي وقت الصلاة لابد من مراعاة مسألة الصلاة.

ليكن هناك وقت للصلاحة قبل الإقلاع أو بعد حط الطائرة. لا يكن الأمر بحيث يقلعوا قبل أذان الصبح ويحطوا بعد طلوع الشمس، لا، لينظموا الرحلات بحيث يستطيع الناس أداء صلاتهم. إما قبل الرحلة أو بعدها. وإذا لم يتتسن هذا — أحياناً تحول ضرورات الرحلات الداخلية، والخارجية، والخطوط الجوية دون ذلك — ليوفّروا داخل الطائرة إمكانية إقامة الصلاة، وطبعاً يمكن تحديد اتجاه القبلة تماماً. أي إن الطيارين خبراء في ذلك ويفهمون المسألة ويعرفونها، كي يستطيع من يريد الصلاحة أداءها داخل الطائرة. قضية حركة القطارات هي أيضاً على هذه الشاكلة من باب أولى.

لا يمكن مقارنة هذه الأمور في بلادنا حالياً بما كان عليه الوضع قبل الثورة. غالبكم لا يتذكر الوضع قبل الثورة. كان وضعًا عجيباً! سواء هنا أو في بعض الأماكن الأخرى. سافرنا إلى العراق لزيارة العتبات المقدسة، ولم يتوقف السائق لصلاة الصبح رغم كل محاولاتنا. أي إن ذلك كان متذرعاً. نظموا الأمور بحيث

يتعدّر ذلك. واضطربتْ أُرمي بنفسي من نافذة في آخر القطار — وكنا بالقرب من المحطة أو في بداياتها — كي أستطيع أداء الصلاة، لأنّ القطار كان وسخاً ولا يمكن الصلاة فيه.

على كل حال لم تكن هذه الأمور تراعى أبداً. وقد اختلف الوضع الآن كثيراً. غير أن المتوقع أكثر من هذا. ينبغي أن تتضح أهمية الصلاة.

أوصي السادة أئمة الجمعة والجماعة ورجال الدين المحترمين في المدن وفي طهران مراراً، بضرورة عمارة المساجد. ينبغي أن يرتفع صوت الأذان من المساجد.

يجب أن يرى الجميع مظاهر الاهتمام بالصلاة وإقامة الصلاة في المدينة الإسلامية — خصوصاً في مدن مثل طهران ومدن البلاد الكبرى — ويشعروا به، سواء أبناء شعبنا أو الذين يدخلون هذه المدن.

يجب أن تكون العلامات والمؤشرات الإسلامية واضحة جليّة. كما ينبغي أن تكون العلامات الإسلامية واضحة في هندستنا. الصهابية إذا بناوا بناية في أي مكان في العالم يحاولون وضع علامة نجمة داود المسؤولية عليها بشكل من الأشكال. هذا هو أداؤهم السياسي. علينا نحن المسلمين مراعاة العلامات الإسلامية والهندسة الإسلامية في جميع أعمالنا.

على كل حال، نتمنى من الله التوفيق. مسألة الصلاة ليست بالمسألة الصغيرة، إنها قضية كبيرة جداً.

جميع العاملين في هذه المجال هم من «والمقيمين الصلاة»⁽⁵⁾ إن شاء الله.

(5) سورة النساء، الآية: 162.

وقد ذكر القرآن {وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ} للإشارة إلى المؤمنين الطاهرين النزيهين المخلصين خصيصاً.

جعلكم الله جميعاً من مقimi الصلاة ومنَّ الله تعالى بعونه وتوفيقه ومتّعنا جميعاً ببركات الصلاة إن شاء الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.